

وبإسلاحهم وزعمائهم ويدعون «المخالفين» ويبلغ بالامبراطور انه اخذ يقبل منهم في جيشه شعبياً برمتها مثل الوزيغوت والبورغند وكانوا اجتازوا القوم بالقوة احياناً ثم آثروا ان يكونوا في خدمته على ان يقائلوه . فأصبحت اذ ذالك جيوش رومانية مؤلفة من شعوب بربرية يقودها قائد بربري . ولقد كان الجيش الروماني الذي رد غارة اتيلان سنة ٤٥١ مؤلفاً من الوزيغوت والفرنك والبورغند وصار كثير من القواد الرومان منذ القرن الرابع (سيلفانوس واريوكاست) ومعظمهم في القرن الخامس (مثل ستيككون ورسيمير وادواكر) من اصل بربري ولم تعد الامبراطورية الرومانية محمية الا بأناس من المحاربين من البرابرة فاحتلها بعد ابناء جنسهم

طبقات الاطباء

من الكتب ما الوظف به المرء أغناء عن مكتبة وكم من مكتبة لا تغني عن كتاب . والكتب كالناس واحد بألف والف لا يساوي واحداً . ومن الكتب التي تعد بألف كتاب «عيون الانباء» في طبقات الاطباء «لؤلؤه موفق الدين أبي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ بصرخد من أعمال جبل الدروز في بلاد الشام الفه في دمشق يرسم امين الدولة بن غزال بن أبي سعيد وزير الملك الصالح ابن الملك العادل

صاحب هذه الطبقات من الاطباء العلماء منفع الفكر منفع العبارة منظم الاسلوب حسن الطريقة ذكر في كتابه كما قال نكتاً وعيوناً في مراتب التمييز من الاطباء القدماء والحديثين ومعرفة طبقاتهم على توالي ازماتهم وأوقاتهم وأودع نبذة من احوالهم وحكاياتهم ونواديرهم ومخاويراتهم وشيئاً من اسماء كتبهم ليستدل بذلك على ما خصهم الله تعالى به من العلم قال فان كثيراً منهم وان قدمت ازمانهم وتفاوتت اوقاتهم فان لهم علينا من النعم فيما صنفوه والمثلن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ما هو تفضل المعلم على تلميذه وللحسن الى من احسن اليه . وقد اودع كتابه جماعة من الحكماء والفلاسفة ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب وجملا من احوالهم ونواديرهم واسماء كتبهم وجعل ذكر كل واحد منهم في الموضع الا ليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم وقسمه الى خمسة عشر باباً الباب الاول في كيفية وجود صناعة الطب واول حدوثها . الثاني في طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم اجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها وهم ثلاثة . الثالث في الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقيليبوس وهم ستة . الرابع في الاطباء اليونانيين الذين اذاع ابقراط فيهم صناعة الطب وهم تسعة . الخامس في الاطباء الذين كانوا منذ زمان

جالينوس وقريباً منه . السادس في الاطباء الاسكندرانيين ومن كان في ازمينتهم من
الاطباء النصارى وغيرهم . السابع الاطباء الذين كانوا في اول ظهور الاسلام من اطباء
العرب وغيرهم وهم عشرة . الثامن في الاطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة
بني العباس وهم اربعة وثلاثون . التاسع الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره
من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم وهم سبعة وثلاثون . العاشر
الاطباء العراقيون واطباء الجزيرة وديار بكر وهم اثنان وثمانون طبيباً . الحادي عشر
الاطباء الذين ظهروا في العمم وهم ثلاثة وعشرون . الثاني عشر الاطباء الذين كانوا في
المند وهم ستة . الثالث عشر الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب واقاموا بها وهم تسعة
وثمانون . الرابع عشر الاطباء المشهورون من اطباء مصر وهم سبعة وخمسون . الخامس عشر
الاطباء المشهورون من اطباء الشام وهم تسعة وخمسون . ورتبهم المؤلف على سني وفياتهم
كل من استعملوا عقولهم جادت والاطباء هم ممن يستعملون عقولهم ولذلك كان فيما كتبه
ابن الهيثمي اصبغة برهان على صحة العقل وجودة التأليف بحيث انك تقرأ كتابه وهو في ستائة
صفحة فلا تكاد تجد فيه مغمراً الا بعض الفاظ واشعار قليلة بذينة رواها بعض المترجم
بهم ولعل ذلك لم يكن منكراً في عصره او اطالة في ايراد بعض التراجم مثل اطالته في
ترجمة الي الحكم الاندلسي ونقل شعره وسديد الدين ابن رقيقة وشعره واكثر ما رواه من
الشعر لابن القاسم هبة الله بن الفضل وغيرهم ممن جاد شعرهم ولكنه لا يخرج من بعض
صفحات وتدره في ذلك انه يريد التنويه بالاطباء كيف كان حالهم ويود لوافق لم بكل
ما قالوه . قلت مرة لاحد اساطين العلم ما بال ابن الهيثمي استعمل بعض اشعار ونوادير
صحيفة نقلها كأنه راض عنها على حين انه غاية في الكمال والعلم الصحيح فقال ان المؤلف
اراد ان يجعل كتابه مرجعاً كبيراً ومورداً فائداً في كل أطروفة وأطروبة ولذلك لما
اهدى نسخة لبعض من يقبل عليهم الوفا حذف هذه الزائدات ومن رآهم يحبون الاشياء
على اصلها استسمح لهم من كتابه نسخة تامة وهذا هو السبب في اختلاف النسخ التي ظفر
بها طابع الكتاب .

وقصارى القول ان هذه الطبقات هي من الكتب الممتعة فلا تعد كتاباً للطب والاطباء
بل هي كتاب في الحكمة والحكماء والمفكرين من العلماء يثقل فيه المطالع طوقاً من مدينة
الاسلام ويقرأ فيه براهين دامعة على ان الناس في تلك القرون السبعة الاولى كانوا سواء
على اختلاف ملابهم ونحلبهم يصف المؤلف المخالف بأنه اوجد العلماء فاضل كامل ويذكر له من
الصفات ما يتراءى معه لقليل الخبرة باخبار تلك الازمنة ان المؤلف ينقل عن اهل دين

المترجم بهم . و يأتي بصفاتهم مجردة دون ان يلحقه شيء من تبعاتها على ان ذلك كله من بنات افكار المترجم . ساوى العلم في نظره بين ابن دينة ومخالفه مساواة لم يعمط بها حقاً لمخالف ولم يبالغ بن يود ويخالف كما ترى في ترجمة جبرئيل بن يحيى شوع ويوحنا بن ماسويه وموفق الدين بن المطران وامين الدولة ابن التليذ وحنين بن اسحق وهناك نجد تراجم كثير من العلماء ممن كان الطب بعض علومهم مثل الرئيس بن سينا وابي نصر الفارابي وابن الهيثم ويعقوب ابن اسحق الكندي وثابت بن قرة وكال الدين بن يونس وابي بكر الرازي وابي بكر ابن زهر وابي الوليد بن رشد والسهروردي وعبد اللطيف البغدادي وغيرهم من الاعلام الذين ترجمهم فاحسن ترجمتهم حتى لم يبق حاجة في النفس من امرهم .

نقرأ في هذا السفر تعريب الترجمة الاول في الاسلام مشفوعاً ببينة من اخبارهم وتراجم بين تلاوة الحكم المستعذية والاشعار اللطيفة والنثر البديع بحيث تحكم بان الطبقات هي كتاب ادب ومحاورة كما هي كتاب حكمة وطب لننقل بين الاستفادة من هذه وترويح النفس بتلك فمن الحكم ما اوصى به ابقراط الاطباء فقال : ينبغي ان يكون المتعلم للطب في جنسه حراً وفي طبعه جيداً حديث السن معتدل القامة متناسب الاعضاء جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عدد المشورة عفيفاً شجاعاً غير محب للفضة مالمكاً لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركاً له في الغاية ولا يكون بليداً وينبغي ان يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه حافظاً للاسرار لان كثيراً من المرضى يوقفون على امراض بهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم وينبغي ان يكون محتجلاً للشجبة لان قوماً من المبرسمين واصحاب الوسواس السوداوي يقابلون بذلك وينبغي لنا ان نختمناهم عليه ونعلم انه ليس منهم وان السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة وينبغي ان يكون حلق رأسه معتدلاً مستوياً لا يخالقه ولا يدعه كالجملة ولا يستقصي قص اغلاظ يديه ولا يتركها تدل على اطراف اصابعه وينبغي ان تكون ثيابه بيضا نقية ليثة ولا يكون في مشيه مستعجلاً لان ذلك دليل على الطيش ولا متباطئاً لانه يدل على فتور النفس واذا دعي الى المريض فليقعد متربعا ويختبر منه حاله بسكون وتأن لا بقلق واضطراب فان هذا الشكل والزي والترتيب عندي افضل من غيره . هذا ما قاله ابو العلاء ولو عمل الاطباء طراً بشورته لما ساءت ظنون العامة والخاصة ببعضهم .

ومن مواعظ افلاطون : اذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه . وقال من لا يواسي الاخوان عند دولته خذله عند فاقته . وشمل من احق الناس ان يؤتمن على تدبير المدينة فقال من كان في تدبير نفسه حسن المذهب . وقال الملك هو كالنهر الاعظم تستمد منه الانهار السغار فان كان عذبا تذبذبت وان كان ملحا ملحت وقال اذا اردت

ان تدوم لك اللذة فلا تستوف الملتذ ابدا بل دع فيه فضلة تدم لك اللذة . وقال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس ليس يسألون في كم فرغ من هذا العمل وانما يسألون عن جودة صنعته وقال اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع وان خالفها لم يحسن موقعه ممن اريد به . وقال رجل جاهل لافلاطون كيف قدرت على كثرة ما تعلمت فقال لاني افنيت من الزيت بمقدار ما افنيت من الشراب . وفل اذا صادفت رجلا وجبت عليك ان تكون صديق صديقك وليس يجب عليك ان تكون عدو عدوه . وقال الافراط في النصيحة يهجم بصاحبها على كثير من الغلبة .

ومن حكم ارسطو اعلم ان من علامة لنقل الدنيا وكدر عيشها انه لا يصلح منها جانب الافساد جانب آخر ولا سبيل لصاحبها الى عز الا بالاذلال ولا استغناء الا بالفقر واعلم انها ربما اصبحت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين فان اصبحت حاجتك منها وانت غطي او ادرت عنك وانت مصيب فلا يستحقك ذلك الى معاودة الخطأ وتجانبة الصواب . وقال لا تبطل لك عمرا في غير نفع ولا تضع لك مالا في غير حق ولا تصرف لك قوة في غير غناء ولا تعدل لك رأيا في غير رشد فعليك بالحفظ لما اتيت من ذلك والجد فيه وخاصة في العمر الذي كل شيء مستفاد سواء وان كان لا يد لك من اشغال نفسك بلذة فان تكن في محادثة العلماء ودرس كتب الحكمة . وقال: العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما . وقال: الصالح نفسه لنفسك يكن الناس تبعاً لك . وقال: من نازع السلطان مات قبل يومه . وقال: اي ملك نازع السوقة هتك شرفه . وقال: اي ملك يدف الى المحقرات فاموت اكرم له . وكتب الى الاسكندر في وصاياه ان الاردباء ينقادون بالخوف والاحيار ينقادون بالحياء فيز بين التطبيق واستعمل في اولئك الغلظة والبطش وفي هؤلاء الافضال والاحسان . وكتب اليه ايضا ان الامور التي يشرف بها الملوك ثلاثة سن الدين الجميلة وفتح الفتح المذكورة وعارة البلدان المعطلة .

ومن كلام عبداللطيف البغدادي : اجعل كلامك في الغالب صفات ان يكون حيزا فصيحاً في معنى مهم او مستحسن فيه الغاز ما وايها كثر او قليل ولا تجعله ممحلاً ككلام الجمهور بل رفعه عنهم ولا تباعده عليهم جدا . وقال : واياك والهدر والكلام فيما لا يعني واياك والسكوت في محل الحاجة ورجوع التوبة اليك اما لاستخراج حق او اجتلاب مودة او تنبيه على فضيلة واياك والضحك مع كلامك وكثرة الكلام وتبشير الكلام بل اجعل كلامك سردا يسكون بحيث يشعر منك ان وراءه اكثر منه وانه عن خبرة سابقة ونظر متقدم وقال : واياك والغلظة في الخطاب والحناء في المناظرة فان ذلك يذهب بهجة الكلام ويسقط

فأثدته ويهدم حلاوته ويحبب الضعائن ويحقى المودات ويصير القائل مستثفلا سكونه
اشهى الى السامع من كلامه ويثير النفوس الى معاندته ويسطو اللسان بمخاشفته واذهاب
حرمته وقال لا ترفع بحيث تستقل ولا لتنازل بحيث تسحق .

ومن كلام رشيد الدين بن خليفة : احترم المشايخ ولو سكتوا عن جواب سؤالك فاعمل
ذلك طبعه العهد وكلال القوى او لانك سألت عما لا يدريك او معرفتهم اعجز فعملك عن
الجواب واعلم ان فوائدك منهم اكثر من ذلك وقال : اشتغل بكلام المشهورين الجامعة
اولاً فاذا حصلت الصناعة فاشتغل بالكتب الجزئية من كلام كل قائل وقال : خذ كلام كل
قائل عارياً عن محبة او بغضة ثم زنه بالقياس واتقنه ان امكن ياخبر به وحينئذ اقبل الصحيح
واذا اشكل فاشرك غيرك فيه فان لكل ذهن خاصية بمعان دون معان

وقال : الامراض لها اعمار والعلاج يحتاج الى مساعدة الاقدار واكثر صناعة الطب حدس
وتخمين وقما يقع فيه اليقين وجزأها القياس والتجربة لا السفطة وحب الغلبة ونيتها حفظ
الصحة اذا كانت موجودة وردها اذا كانت مفقودة وفيهما يتبين سلامة الفطر ودقة الفكر
ويتميز الفاضل عن الجاهل والمجد في الطلب عن المتكاسل والعمال يقتضى القياس والتجربة
عن المحتال على اقتناء المال وعلو المرتبة . وقال : ما اكثر المتنذرين بالآمال من غير الشروع
في بلوغها وقال : الآمال احلام اليقظان . وقال : اكثر من مطالعة سير الحكماء واقتد منها
بما يمكن الاقتداء به في زمانك . وقال : كتب بعضهم الى شيخه يشكو تعذر اموره فكتب
اليه انك لن تفجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ولن نزال ما تحب حتى تصبر على
كثير مما تكرهه وما يكاد يختص به كتاب الطبقات انك قد تأثي على ترجمة الرجل والرجلين
ولا نفهم خلفه ومذهبه اذا لم يكن في اسمه او كنيته او لقبه ما يشعر بانه مسلم او غير مسلم
وربما اشتبه الاسم ايضاً فان من الصائبة من اسمه حسن ومن الجوس من اسمه عثمان وعلي
والعباس والفسرائي يكنى بموفق الدين وقطب الدين .

ومن اعجب ما قرأته انت فسمنا بن لونا البعلبكي وكان مسيحي النحلة الف كتاباً له
في علل الموت فجاءه لابي الحسن محمد بن احمد كاتب بطريق البطارقة والغالب ان اسم هذا
ابونفاس العباس بن سباط . وقد استفدت منه عدة الفاظ لم تكن مأثورة من مثل الجوارشات
للعبوب المستعملة والاقراباذينات اي تركيب الادوية والساعور وهو مقدم النصارى
في الطب وفي التاج ان اصله ساعورا ومعناه مثقوب المريض وقد اشتق منه فعلاً فقال :
كانا جميعاً يسهران المريض اي ينفقداها الى غير ذلك من الفصح والشوارد مثل قوله عن
اسم كتاب لاحد المشاهير « الشمس » اي المحتال بالدين ونحوه على شيء يستره .

والغالب ان المؤلف لم يدخر وسعاً في تنقيح كتابه وتصحيحه الى ان هلك فجاء زبدة في موضوعه فيه كل ما طالب وحلا فمن منظومه وهو مما نأخذ له لكثرة فيه وخير الشعر ما زاد معناه على لفظه وقصدت به غاية كما قال يعقوب بن اسحق الكندي

اناف الدنانير على الارؤس فغمض جفونك او فكس
وضائل سوادك واقبض بديك وسبي قعر بيتك فاستخلص
وعند مليكك فابغ العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال وان التعزز بالانفس
وكأنت ترى من اخي عسرة غني وذبي ثروة مفلس
ومن قائم فخصه ميت على انه بعد لم ير من
فان نطعم النفس ما تشتهي تثيق جميع الدسيه تخسني
وكما وصي يحيى بن عدي ان يكتب على قبره

رب ميت قد صار بالعلم حيا ومبق قد مات جهلاً وعيا
فاقتنوا العلم صبي نالوا خلودا لا تعدوا الحياة في الجهل شيا
وكما قال ابوطاهر بن البرخشي وقد رأى اذانا يكتب كتاباً الى صديق له فكتب
في صدره العالم .

لما اتحت سنن المكارم والعلو بغدا الانام بوجه جهل قائم
ورضوا باسياه ولا معنى لها مثل الصديق نكاتبوا بالعالم
وكما قال العنبري

الحق يعسره الجهول لانه عدم التصور فيه والتصديقا
فهو العدو لكل ما هو اهل فاذا تصوره يعود صديقا
او كما قال

كن غنياً ان استطعت والا كن حكيماً فاعدا ذيت غفل
انما سودد الفنى المسال والاع لم وما ساد قط فقر وجهل
وقوله

ومن نكد الدهر العشوم وصرفه يجاور رغماً فيلسوف للاحق
وكقول ابي بكر الرازي
نهاية اقدام العقول عثال واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا سيف غفلة من جسومنا وحاصل دنيانا اذى ووبال

ولم تستقد من بحشا طول عمرنا
سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة
فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها
رجال فزالوا والجبال بجبال
وكقول امية بن عبدالمعز

مارست دهري وجريت الانام فلم
احمد قط في جد ولا لعب
وكنتم تبيت ابى الى به احدا
يسلي من المم او يمدني على التوب
فما وجدت سوى قوم اذا صدقوا
كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
وكان لي سبب قد كنت احسبني
احظى به واذا داني من السبب
فما مقلم انفساري سوى قلبي
ولا كثنائب اندائي سوى كذبي
وكقول عبدالمعز الحلياني

من لم يسأل عنك فلا تسألن
عنه ولو كانت عزيز النفر
وكنن فني لم تدعه حاجة
الى امتنات النفس الا نفر
وكقوله

فالوا نرى نفرا عند الملوك سموا
وما لهم هممة تسمو ولا ورع
وانت ذو هممة في الفضل عالية
فلم ظمئت وهم في الجاه قد كرعوا
فقلت باعوا نفوسا واشتروا ثمنها
وصنت نفسي فلم اخضع كاخضعوا
قد بكرم الفرد اعجابا بخسته
وقد بهيات لفرط الغفوة السبع
ومثل قول امين الدولة بن التليذ

سقى النفس بالعلم نحو الكمال
تواف السعادة من بابها
ولا ترج ما لم تسبب له
فان الامور باسبابها
وكقوله

لا تحقرن عدوا لان حايه
ولو يكون قليل البطش والجلد
فالذبابة سيح الجرح المدة يد
ئنال ما قصرت عنه يد الاسد
وكقوله

وارى عيوب العالمين ولا ارى
عيبا لنفسي وهو مني اقرب
كالطرف يستقبل الوجوه ووجهه
منه قريب وهو عنه مغيب
وكقول سعيد بن عبدربه وكان جميل المذهب
امن بعد غومي في علوم الحقائق
وطول انيساطي في مواهب خالقي

وفي حين اشرايفي على ملكوته
وايام عمر المرء متعة ساعة
وقد اذنت نفسي بنقويض رحلها
وافي وان اوغلت او سرت هاربا
وكقول ابي الفرج بن هندو

قوض خيامك من ارض تضام بها
وارحل اذا كانت الاوطان منقصة
وجانب الذل ان الذل يجنب
فمندل الهند في اركانه حطب
وكقوله

اطال بيت البلاد تجوالي
ان رحت عن بلدة غدوت الى
كأنني ففكرة الموسوس لا
تبقى مدى لحظة على حال
وكقوله وكتبها على عود

رأيت العود مشققا
فهذا طيب آفاق
من العود بانقاف
وهذا طيب آذان
وكقوله

لنا ملك ما فيه للملك آلة
اقم لاصلاح الوري وهو فاسد
سوى انه يوم السلاح متوج
وكيف استواء الظل والعود اعوج
وكقول الرحي

اذا نقضى شباب المرء في نقص
فما له في بقايا العمر من ارب

وهناك من المنظومات الطويلة ما هو الشعر الخلال . اما المنشور فظهر بطريقة التجميع التي غلبت على اهل القرن الخامس من بعدهم الا ان فيه المرسل مثل كلام لامين الدولة ابن التليذ كنبه في ضمن رسالة الى ولده وكان يعرف برضي الدولة ابي نصر قال : والتفت هناك عن هذه الترهات الى تحصيل مفهوم تميزه وخذ نفسك من الطريقة بما كررت بذهنك عليه وارشادك اليه واغتنم الامكان واعرف قيمته وتشغل بشكر الله تعالى عليه وفز يحفظ نفيس من العلم تثق من نفسك بان عقلته وملكته لا فرأته ورويته فان بقية الحفظوظ تنبع هذا الحظ المذكور وتزعم صاحبه ومن طلبها من دونه فاما ان لا يجدها واما ان لا يعتمد عليها اذا وجدها ولا يثق بدوامها واعوذ بالله ان ترضى لنفسك الا بما يليق بمثلك ان يداسم اليه بلوهمته وشدة انفته وغبرته على نفسه ومما قد كررت عليك الوصاة به على ان لا تحصر

على ان نقول شيئاً لا يكون مذهباً في معناه ولفظه ويتعين عليك ايراده فاما معظم حركات
فنصرفه الى ان نسمع ما نستفيد لاما يلهيك وبلد للاغمار واهل الجباله نزعت الله عن
طبقتهم فان الامر كما قال افلاطون الفضائل مرة الورد حلوة الصدر والردائل حلوة الورد
مرة الصدر وقد زاد ارسطو طاليس في هذا المعنى فقال : ان الرذائل لا تكون حلوة الورد
عند ذي فطرة فائقة بل يؤذيه تصور فجها اذى يفسد عليه ما يستلذه غيره منها وكذلك
يكون صاحب الطبع الفائق قادراً بنفسه على معرفة ما يتوخى ويحتمل كالتام الصحة يكفي
حسه في تعريفه النافع والضار فلا ترض لنفسك حفظك الله الا بما تعلم انه يناسب طبقة
مثالك واغلب خطرات الهوى بعزيمات الرجال الراشدين واطمح بنفسك اليها فتركك في
طاعة عقلك فانك تسر بنفسك وتزاهي في كل يوم مع اعتماد ذلك في رتبة عليّة ومراقبة من سواه
ومن رسالة في السعادة كتبها المؤلف الى رشيد الدين الصوري وقد اهدى اليه تأليفاً
له يحتوي على فوائد ووصايا طبية وهي من السبع على خلاف عادته : ادام الله ايام الحكميم
الاجل الاوحد الامجد العالم العامل الفاضل الكامل الرئيس رشيد الدنيا والدين معتمد
الملوك والسلطين خالصة أمير المؤمنين بلغه في الدارين نهاية سؤله وامانيه وكتب
حسده واعاديه ولا زالت الفضائل مخبئة بفنائنه والفواضل صادرة منه الى اوليائه والالسن
مجتبىة على شكره وثنائه والصحة محفوظة بحسن مراعاته والامراض زائلة بتدبيره ومعالجته
المملوك ينهي ما يجده من الاشواق الى خدمته والتأسف على الفائت من مشاهدته ووصلت
المشرفة الكريمة التي وجد بها نهاية الامل والارشاد الى المطالب الطبية الجامعة للعلم والعمل
وقد جعلها المملوك اصلاً يعتمد عليه ودستور يرجع اليه لا يخلجها من فكره ولا يخلجها بتفتته
في سائر عمره وما للمملوك ما يقابل به احسان مولانا الا الدعاء الصالح والثناء الذي
يكتسب من محاسنه النشر العطر الفائح وكيف لا اشكر واشتر محاسن من لا اجد فضيلة الا به
ولا اثال راحة الا بسببه والله يتقبل من المملوك صالح ادعيته ويجزي مولانا كل خير على
كل مروءته ان شاء الله

واما فوائد الكتاب الطبية والاجتماعية فما ينبغي ان يفرد بالبحث ولا يسع الطبيب
والاديب جعله فمن ذلك ما قاله ثابت به ستان قال ولما كان تسع عشرة وثلاثمائة اتصل
بالمقتدر ان غلظاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل فامر ابراهيم بن
محمد بن سلخا بنع سائر المتطببين من التصرف الا من امتهق والذي ستان بن ثابت وكتب له
رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة فصاروا الى والدي وامتهقهم واطلق لكل واحد ما يصلح
ان يتصرف فيه وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيقاً وستين رجلاً سوى من

استغنى عن محنته باشتهاره بالتقدم في صناعته وسوى من كان في خدمة السلطان . قلت وهذه الشهادة الطبية نالها من نالها من اطباء بغداد بعد العلم والعمل ولا عجب ان يكون لبغداد هذا العدد الدثر من الاطباء والقاهرة على ما بلغت اليه من الحضارة في هذا العهد لا يتجاوز اطباؤها نصف هذا القدر . وقد ذكر ابن أبي أصيبعة ان سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وما والاها كان اذا اكل الطعام حضر على مائدته اربعة وعشرون طبيباً وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطي عثمين ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم

ونقل المؤلف من كلام لابي نصر الفارابي في معنى اسم الفلسفة قال اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية وهو على مذهب لسانهم فيلسوفيا ومعناه ايثار الحكمة وهو في لسانهم مركب من فيلا ومن سوفيا فيللا الايثار وسوفيا الحكمة والفيلسوف مشتق من الفلسفة وهو على مذهب لسانهم فيلسوفوس فان هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم ومنه المؤثر للحكمة والمؤثر للحكمة عندهم هو الذي يجعل الوكدة من حياته وغرضه من عمره الحكمة . وحكي ابو نصر الفارابي في ظهور الفلسفة ما هذا نصه : قال ان امر الفلسفة اشتهر في ايام ملوك اليونانيين وبعد وفاة ارسطوطاليس بالاسكندرية الى آخر ايام المرأة وانه لما توفي بقي التعليم بحاله فيها الى ان ملك ثلاثة عشر ملكاً وتوالى في مدة ملكهم من معطي الفلاسفة اثنا عشر معلماً احدهم المعروف باندرونيقيوس وكان آخره هو الامم الملك فقلها اوغسطس الملك من اهل رومية وقتلها واستحوذ على الملك فلما استقر له نظر في خزان الكتب وصنعها فوجه فيها نسخاً لكتب ارسطوطاليس قد نسخت في ايامه وايام ثاوفرسطس ووجدوا المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتباً في المعاني التي عمل فيها ارسطوطامر ان نسخ تلك الكتب التي كانت نسخت في ايام ارسطوطامر وتلاميذه وان يكون التعليم منها وان ينصرف عن الباقي وحكم اندرونيقيوس في تدبير ذلك وامره ان ينسخ نسخاً يحملها معه الى رومية ونسخاً يبقيا في موضع التعليم بالاسكندرية وامره ان يستخلف معلماً يقوم مقامه بالاسكندرية ويسير معه الى رومية فصار التعليم في موضعين وجرى الامر على ذلك الى ان جاءت النصرانية فبطل التعليم من رومية وبقى بالاسكندرية الى ان نظر ملك النصرانية في ذلك واجتمعت الاساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل فأرأوا ان يعلم من كتب المنطق الى آخر الاشكال الوجودية ولا يعلم ما بعده لانهم رأوا ان في ذلك ضرراً على النصرانية وان فيما اطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرته دينهم فبقي الظاهر من التعليم المقدار وما ينظر فيه من الباقي مستوراً الى ان كان الاسلام بعده بدة طويلة فانتقل التعليم من الاسكندرية الى انطاكية وبقى بها زمناً طويلاً الى ان بقي معلم واحد فتعلم منه رجلان

وخرجوا ومعهم الكتيب فكان احدهما من اهل حران والاخر من اهل مرو فلما الذي من اهل مرو تعلم منه رجلا احدهما ابراهيم المروزي والاخر يوحنا بن حيلان وتعلم من الحراني اسرائيل الاسقف وقوبري وسارا الى بغداد فتشغل ابراهيم بالدين واخذ قوبري في التعليم واما يوحنا بن حيلان فانه تشغل ايضا بدينه واتخذ ابراهيم المروزي الى بغداد فاقام بها وتعلم من المروزي متى بن يوان وكان الذي يتعلم فيه ذلك الوقت الى آخر الاشكال الوجودية . وقال ابو نصر الفارابي عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان وكان يسمى ما بعد الاشكال الوجودية الجزء الذي لا يقرأ الى ان فري ، ذلك وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الامر الى معلمي المسلمين ان يقرأ من الاشكال الوجودية الى حيث قدر الانسان ان يقرأ فقال ابو نصر انه قرأ الى آخر كتاب البرهان

ومن الفوائد التاريخية في الكتاب ما ذكره صاعد بن بشر في مقاله في مرض المراقبة ما عاينه في ذلك الزمان من احوال وجمعا ومخزوف شاهدها . هذا نصه وقال وانه عرض لنا من نصايح الزمان علينا والتشاغل بالناس الامر الصوري ولما قد شملنا من الخوف والحذر والفرع واختلاف السلاطين وما قد بلينا به مع ذلك من التنقل في المواضع وضياح كتبنا وسرقناها ولما قد اظلمنا من الامور المذعرة المخوفة التي لا نرجو في كشفها الا الله نقدس اسمه قال ابن ابي اصيبعة هذا ما ذكره اي صاعد وما كان في ايامه الاختلاف ملوك الاسلام بعضهم مع بعض وكالت الناس سالمين في انفسهم آمنين من القتل والاي فكيف لو شاهد ما شاهدناه ونظر ما نظرناه في زماننا من التناثر الذين اهلكوا العباد واخربوا البلاد وكونهم اذا اتوا الى مدينة فمالهم هم الا قتل جميع من فيها من الرجال وسبي الاولاد والنساء وتهب الاموال وتخرب القلاع والمدن فكان استنصر ما ذكره واستقل ما عاينه وحرقه ولكن ما طامة الا فوقها طامة اعظم منها ولا حادثة الا غيرها تكبر عنها والله الحمد على السلامة والعافية ومن فوائد التاريخية ايضا ما ذكره في ترجمة ابن بطلان قال ان مشاهير الاوباء في زمانهم وباء سنة ست واربعين واربعمائة فانه دفن في كنيسة لوقا بعد ان امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية اربعة عشر الف نسمة في الخريف فلما توسط الصيف في سنة سبع واربعين لم يوف النبل فمات في القسطنطية والشام اكثر اهلها وجميع الغرباء الا من شاء الله وانتقل الوباء من العراق فاتي على اكثر اهل واسنولى عليه الخراب بطروق المساكن المتعادية واتصل ذلك بها الى سنة اربع وخمسين واربعمائة وعرض للناس في اكثر البلاد

فروح سوداوية واورام الطحال وتغير ترتيب نوايب الحيات واضطرب نظام البحارين قال وتكامل خراب العراق والموصل والجزيرة واحتلت ديار بكر وريقة ومصر وفارس وكرمان

وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام واضطربت احوال ملوك الارض وكثرت الحروب والغلاء والجوابة

ومن فوائد الاجتماعية ما ذكر في ترجمة اسرائيل بن العافوري ان الوزير الفخ ابن خاقان كان كثير العناية به فقدمه عند المتوكل ولم يزل حتى انس به المتوكل وجعله في مرتبة بختيشوع وعظم قدره وكان متى ركب المدار المتوكل يكون موكبه مثل موكب الامراء واجلاء القواد وبين يديه اصحاب المقارع . قلت ولعل اصحاب المقارع مثل الذين يشون امام عجلات الاعيان والاراء ومركباتهم في هذا الفطر وهذه العادة من اشيع العادات التي ابتناها الايام . كما انه كان يحمل بين يدي اكبراء مشاعل في الليل كما ذكره في ترجمة ابي الفرج بن توما ومن فوائد الادبية قوله : ذكروا ان الاصل كانت في اسم جالينوس جالينوس ومعناه الساكن او الهادي وقيل ان ترجمة اسم جالينوس معناه بالعربي الفاضل وقال ابو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتاب الحاربي انه ينطق في اللغة اليونانية ان ينطق بالحيم غينا وكافا فيقال مثلاً جالينوس وغالينوس وكالينوس وكل ذلك جائز وقد تجعل الالف واللام لاما ممددة فيكون ذلك اسم في اليونانية اقول وهذه فائدة لتعلق بهذا المعنى وهي حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد الكريدي قال حدثني ابنا غاثون المطران بشوبك وكان اعلم اهل زمانه بعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية ان في لغة اليونان كل ما كان من الاسماء الموضوعة من اسماء الناس وغيرهم فآخرها سين مثل جالينوس وديسقوريدس وانكساغورس وارسطو طاليس ودوجانس وارياسيوس وغير ذلك وكذلك مثل قولم قاطيغورياس وبارينياس ومثل اسطوخودس وانغالس فان السين التي في آخر كل كلمة حكمها في لغة اليونانيين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة مثل قولك زيد وعمرو وخالد وبكر وكتاب وشجر فتكون النون التي تبين في آخر التنوين مثل السين في لغة اولئك اقول ويقع لي ان من الالفاظ التي في لغة اليونانيين وهي فلائيل ما لا يكون في آخره مثلاً سقراط وافلاطون واناثا ذيون وانغوفن ونامور وبانغات وكذلك من غير اسماء الناس مثل انالوطيقيا ونيقوماخيا والريطورية ومثل جند بيدستر وترباق فان هذه الاسماء تكون في لغة اليونانيين لا يجوز عندهم لتو بينها فتكون بلا سين وذلك مثل ما عندنا في لغة العرب ان من الاسماء ما لا ينون وهي الاسماء التي لا تنصرف مثل اسماعيل وابراهيم واحمد ومساجد ودنانير فتكون هذه كذلك اه

اما فوائد الكتاب الطبية فكثيرة جداً فمنها ما رواه عن جالينوس ان كل بيت لا تدخله الشمس يكون بيتاً وهو مثل قول الفرنسيس في امثالهم حيث لا تدخل الشمس

بدخل الطيب . ومما ذكره ابن جنيته في كتاب المقدمات صفة لتجميد الماء في غير وقته زعم انه اذا اخذ من السب اليافى الجيد رطل ويصق جيداً ويجعل في قدر نحار جديد وتبقى عليه ستة ارطال ماء صاف ويجعل في ثور ويطين عليه حتى يذهب منه الثلثان ويبقى الثلث لا يزيد ولا ينقص فانه يثد ثم يرفع في قنينة ويسد رأسها جيداً فاذا اردت العمل به اخذت ثلجية جديدة وفيها ماء صاف واجعل في الماء عشرة مثاقيل من الماء المعمول بالسب ويترك ساعة واحدة فانه يصير ثلجاً وكذلك ايضاً زعم بعض المغاربة في صنعة تجميد الماء في الصيف قال : اعمد الى بزر الكتان فانقعه في خل خمر جيد ثقيف فاذا حمد فيه فالحق في جرة اوجب مليء ماء قال فانه يحجمد ما كان فيه من الماء ولو انه في حزيران او تموز

بقي في الكتاب كثير من التكات المضحكة ننقل بعضها للاحماض ونرويها للنفوس فما رواه يوحنا بن ماسويه العالم الطبيب المشهور وكان فكها ذا دعابة وظرف قال : شكنا اليه رجل جرباً قد اضر به فامره بفصد الاكل من بده اليمنى فاعلمه انه قد فعل فامره بفصد الاكل ايضاً من بده اليسرى فذكر انه قد فعل فامره بشرب المطبوخ فقال قد فعلت فامره بشرب الاصطمخيقون فاعلمه انه قد فعل فامره بشرب ماء الجن اسبوتاً وشرب مخيض البقر اسبوعين فاعلمه انه قد فعل فقال له لم يبق شيء مما امر به المتطبيبون الا وقد ذكرت انك فعلته وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس وقد رأيتاه يعمل على التجربة كثيراً فاستعمله فاني ارجو ان ينجح علاجك ان شاء الله فساء له ما هو فقال ابغ زوجي قرطيس وقطعها رفناً صغاراً واكتب في كل رقعة رحم الله من دعا مبتلى بالعافية والى نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام والصف الآخر في المسجد الغربي وقرعها في المجالس يوم الجمعة فاني ارجو ان ينفعك الله بالدعاء اذ لم ينفعك بالعلاج

وعلى الجملة فالكتاب مادة واسعة في علوم الحضارة فنشكر لناشره العالم الالماني الذي سمي نفسه امراً القيس الطحان وهذا الاسم لرحمة الله الحقيقي ما كس مولر فقد سببه سيف مصر وصححه على عدة نسخ وامهات صحيحة وحقه بفهرس الاعلام بحيث جاء مفيداً بكاد غاطله لا يذكر وبذل وقته وماله فيه حتى تقع العلم والادب وجلا كثيراً من الحقائق التي كانت متورة وهافت اخذ الالماني اليوم بترجمونه الى لغتهم وسيتم طبعه قريباً وفي لاوصي كل طالب علم يناشئ معرفة ان يقتنيه فهو من الكتب التي لا يلقى بنصدة ان تكون خالية من نسخة منه بأخذ كل مطالع منها ما يغلب عليه دع عنك ما هنالك من تاريخ بلقع كل حين فكراً جديداً ولو كان في موضوع هذا المصنف المفيد ثمة كتاب من امهات كتبنا جميلة الطبع والوضع لعدت العربية في التاريخ والسير من اغنى لغات العصر